﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ)

بتاريخ [٧-٤-٢٠١٧]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وبعد...

أيُها الإخوة، فإن الله يقول في كتابه الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢)﴾ [التغابن: ٢]. ويقول نوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لقومه: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)﴾ [نوح: ١٣-١٤]. ويقول الله -سُبْحَانه- كذلك: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)﴾ [الشورى: ٧]. فشاء الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وقدر أن يخلق للجنة أهلًا وهم في أصلاب آبائهم، وأن يخلق للنار أهلًا وهم في أصلاب آبائهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)﴾ [فصلت: ٤٦]. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)﴾ [الأنعام: ١٣٢].

وبعد هذه التوطئة أيُها الإخوة، فإن للمؤمنين علامات يُعرَفون بها، وإن للكفرة الأشقياء علامات يُعرَفون بها، وبين هؤلاء وأولئك طوائف من أهل النفاق، قد يخفى أمرهم على الكثيرين، بل إن الله قال لرسوله محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١)﴾ [التوبة: ١٠١]. فبين أهل الإيمان وأهل الكفر أهل نفاق، بين هؤلاء وأولئك ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

وكما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾. وقد كان الصحابة -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ- كل يخشى على نفسه من النفاق، يخشى أن يكون من هؤلاء المنافقين، وقد عهد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأسماء كثيرين منهم لحذيفة بن اليمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، ولذا قيل عن حذيفة صاحب سر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، وهذا السر هو إخباره بأسماء أهل النفاق.

وفيما يروى عن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه كان يسأل حذيفة: «أمِنهم أنا يا حذيفة؟». فوصل الأمر بالمحدث الملهم عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- أن يسأل نفسه أهو منهم أم ليس منهم، ويقول أئمتنا وعلماؤنا في شأن النفاق: ما أمنه إلا منافق، ولا خافه إلا مؤمن. أي: أن الشخص المؤمن هو الذي يخشى على نفسه أن يكون منافقًا، أما المنافق فلا يبالي بذلك، ولا يحرص على شيء من ذلك.

وفي الأثر: «إنَّ المُؤمنَ يَرَى صِغار ذُنوبِه كجَبلٍ يوشكُ أنْ يسقطَ عليه، وإنَّ المُنافقَ يَرَى كِبار ذنوبِه كذُبابةٍ حطَت على أنْفِه ثم طارَت». لا يهتم بكبار الذنوب، أما المؤمن فمن شأنه الحرص على نفسه من الصغير ومن الكبير على السواء، فلذا كان من السلف الصالح من يقول: عرضت نفسي على كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فلم أجد نفسي من

البررة الأتقياء ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]. الذين ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. الذين ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. لا أزكي نفسي، لم أجد نفسي منهم، وعرضت نفسي على أفعال أهل الشقاق والكفر، فالحمد لله لم أجد نفسي منهم، ووجدت أشبه ما يكون بحالي ما ذكره الله إذ قال: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]. فهكذا كان الإنصاف من النفس ومع النفس، والذي يقول ذلك عابدٌ من العباد، وعالم من العلماء، ومجاهدٌ من المجاهدين، ولكن كما قال تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)﴾ [النجم: ٣٢]. فلذا كان أهل الخير والفضل ينظرون ماذا قدموا لأنفسهم، وماذا قدموا لغدهم، وهل هم فيهم شعبة شعب النفاق أم لا.

فجديرٌ بنا وقد علم كثيرون منا صفات أهل الإيمان والتي منها: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤)﴾ [المؤمنون: ٢-٤]. الذين منها أنهم يعمرون المساجد ويتلون كتاب الله، إذ الله قال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ﴾ [التوبة: ١٨]. تلك التي منها أيضًا -أعني من صفات أهل الإيمان-: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)﴾ [الذاريات: ١٧-١٨]. تلك التي منها محبتهم الخير لأهل الإيمان ولأهل الإسلام إلى غير ذلك من الصفات.

فعلى كلٍ منا أيضًا أن يولي صفات المنافقين شيئًا من العلم حتى يحذرها، قال حذيفة بن اليمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «كانَ الناسُ يسألون رسولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الخيرِ، وكنتُ أسألُه عن الشرِ مخافةً أنْ يدركَني». فجدير بنا أن نقف على صفات هؤلاء الأشرار لاتقائها أهل النفاق -عياذا بالله منهم-، وكان رسولكم يتعوذ بالله من النفاق، كان رسولكم يتعوذ بالله -عَزَّ وَجَلَّ- من النفاق، وابتداءً فهناك نفاق عمل

ونفاق اعتقاد؛ نفاق الاعتقاد: أن يضمر الكفر في صدره في قلبه ويبرز الإسلام بلسانه، فهو يتمنى من قلبه أن لو ذهب الإسلام، يتمنى من قلبه أن لو هُزِم المسلمون، يتمنى من قلبه أن يزول هذا الدين، فهذا نفاق اعتقادٍ، قال الله في أهله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)﴾ [النساء: ١٤٥].

أما نفاق العمل فكما قال الرسول الأمين -عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَّلَاةٍ وَأَتَمُّ تَّسْلِيمَ-، ولنحذره على أنفسنا قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في بيان بعض صفات أهله: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، إِذَا اُؤتمِنَ خَانَ، إِذَا عاهدَ غدرَ». فكل ينظر في نفسه وهل هذه الصفات أو أحدها فيه أم لا، «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، إِذَا اُؤتمِنَ خَانَ، إِذَا عاهدَ غدرَ». وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «تَجِدُونَ من شرِ النَّاسِ ذا الوَجْهَيْنِ الذي يَأْتي هَؤُلاءِ بوَجْهٍ، ويَأْتي هَؤُلاءِ بوَجْهٍ». وقال أيضًا: «مَثَلُ المُنافقِ كَمثلِ الشَّاةِ العائِرةِ بين الغَنَمَيْنِ تفيء إلى هذِه مرةً والى هذِه مرةً». الشاة مترددة بين غنمين، كلما ذهبت إلى فريق طردها الفريق فذهبت للآخر فتُطرَد.

قال تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾. ولا يخفى عليكم أن النفاق لم يكن موجودًا بمكة، إنما النفاق وجِد في المدينة؛ ذلك لأنه لم يكن هناك داعٍ للنفاق في مكة، فمن كان يظهر إسلامه يُعذَب أشد العذاب ويُنكَل به، أما المدينة فلما قويت شوكة المسلمين وأصبحت لهم دولة فمن ثم ظهر النفاق في المدينة، ولذا لا تكاد تجد سورة من السور المدنية إلا ويُذكَر فيها أهل النفاق، ندر أن تجد سورةً مدنية لا يُذكَر فيها أهل النفاق.

فإذا قرأت سورة (البقرة)، آيات قليلة أُفرِدت في شأن المؤمنين، وأقل منها في شأن الكافرين، وثلاثة عشر آية طالع السورة في شأن أهل النفاق، إذا انتقلت إلى (آل عمران) وما كان من أمر أهل النفاق في غزوة أحد تجد كثيرًا من أمرهم بُسِط وفُصِل، إذا انتقلت

إلى سورة (النساء) تجد قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨)﴾ [النساء: ٨٨]. إذا انتقلت إلى سور أخر من سور الكتاب العزيز كسورة (براءة) على وجه الخصوص، وهي التي تسمى الفاضحة؛ وهي التي فضحت أهل النفاق، تجد فيها كمًا هائلًا من أوصاف هؤلاء المنافقين، وجدير بك أن تقرأها خشية على نفسك من أن تكون منهم، فذُكِرت أوصافهم هنالك ووضِحت أفعالهم كذلك.

وبعد ذلك تنتقل فتجد بين ثنايا سور عديدة أوصافًا لأهل النفاق كالوارد في سورة (النور)، كالوارد في سورة الحديد، كالوارد في سورة (الحشر)، كالورد في سورة (المنافقين) التي تسمت بهذا الاسم، فنتناول على وجه السرعة بعض التذكير بشيء من أفعالهم حتى أولًا نعرف أنفسنا هل تورطنا في شيء من أفعالهم، ونعوذ بالله من درك الشقاء، نعوذ بالله من درك الشقاء، ونعوذ بالله من النفاق، ثم أيضًا لنحذر هذه الفئة فئة المنافقين.

أقول وبالله تعالى التوفيق ذُكِرت أوصافهم في عدة سور، ليست في سورة واحدة، من أوصافهم كما ذُكِر في عدة آيات من كتاب الله مضمونه كثرة وقلة عملهم، فأهل النفاق كثيرو الكلام قليلو العمل، ولذا كما جاء عن بعض السلف: ما عرضتُ عملي على قولي إلا خشيت أن أكونَ منافقًا. فكلامهم كثير، كما قال تعالى: ﴿سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩].

ودائمًا يحلفون ترى الأيمان على ألسنتهم كثيرة، كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٦]. ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [التوبة: ٩٥]. قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]. قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا

أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ [المجادلة: ١٦].فمن شأنهم كثرة الكلام، كثرة الحلف لتغطية نفاقهم، تراهم يسرعون بالأيمان، ويتسارعون إليها، ولا يبالون أيُمتهَن اسم الله أو لا يُمتهَن، لا يبالون ذلك، إنما المقصد عندهم المصلحة الخاصة بهم، لا يبالوا أن يحلفوا أيمانًا كاذبةً بالله يمينًا تلو يمين تلو يمين، فهذا شأنهم كثرة كلامٍ مع قلة العمل.

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)﴾ [النساء: ١٤٢]. وقال تعالى في شأن زكواتهم: ﴿وَلا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤)﴾ [التوبة: ٥٤]. وقال تعالى في شأن جهادهم وقتالهم مع المسلمين: ﴿وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨)﴾ [الأحزاب: ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)﴾ [التوبة: ٤٩].

فيطالب الرسول بعضهم بالخروج في الغزو، يقول: أنت ستذهب يا رسول الله لقتال الناس في تبوك وترسلني لقتال الروم، نساء الروم جميلات يا رسول الله أخشى أن أُفتَن، ائذن لي في التخلف ولا تفتني، فيقول تعالى: ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾. كذا يحفرون الخندق، يتسللون من الحفر والعمل، كما قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣].

إذا أراد الرسول أية غزوة إذا بهم يأتون يستأذنون، كل يُدلي بعذر غير موجود، كل يدلي بعذر غير موجود، فكما قال تعالى لرسوله: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣)﴾ [التوبة: ٤٣]. وعمومًا فإنهم كما قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٩]. أعمالهم قليلة، لا تكاد تجد لهم عملًا نافعًا ينفعون به الإسلام أو ينفعون به المسلمين، فتراهم بخلاء، تراهم كذلك كسالى عن الطاعات.

وكما قال تعالى -واخشَ على نفسك أيُها المسلم أن تكون من هذا الصنف-: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)﴾ [التوبة: ٤٦]. لو أرادوا أن يجاهدوا حقًا لأعدوا للجهاد عدته، لتهيأوا بالمال، لتهيأوا بالسلاح، لتهيأوا بالدواب التي يركبونها، لتهيأوا بالذهاب إلى رسول الله وكتب أسمائهم في سرايا المجاهدين وسرايا الغزاة، وكثيرٌ من الناس على هذا النحو وعلى هذه الشاكلة يريد أن يصلي الفجر، ولكنه يعبث ويسهر لو أراد أن يُصلي الفجر لأعد له عدة، لنام مبكرًا، لأوصى من يوقظونه لصلاة الفجر، لأوصى من يوقظونه لصلاة الليل، من أراد أن يعتمر يعد للعمرة عدتها، يرتب قبلها، يجهز المال الذي سيلزمه، يحجز مبكرًا، يرتب قبلها بزمن، يجهز المال الذي سيلزمه، يحجز مبكرًا، يرتب للخير عدته، ولكن هناك أناس حُرِموا الفضل وحُرِموا الخير ﴿كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾. فلا يعدون عدة؛ لأن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هو الذي ثبطهم لما يعلمه فيهم وفي قلوبهم.

فاحذر على نفسك، فمن السلف من كان يقول: إني إذا فاتني قيام الليل أحزن، ليس حزني بكبيرٍ على أنني لم أصلِ ركعات فسأصليها من النهار كما فعل الرسول، إذ فاته قيام الليل ذات يوم فصلى من النهار ثنتي عشرة ركعة، ولكن خشيتي أن يكون الله كرهني فكره قيامي، كرهني فثبطني عن قيام الليل، وحرمني من الخير بسبب ذنوبي، وكثيرًا ما يُحرَم الناس عن الخير بسبب ذنوبهم.

كثيرًا ما يُحرَم الناس عن الطاعات بسبب ذنوبهم، أحيانًا تريد أن تتصدق تُحرَم من أن تتصدق وتوصل الصدقة لمستحقيها من أجل ذنوبك، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾. أي: لماذا تختلفون في شأن المنافقين الذين خذلوكم يوم أُحد ورجع ابن أبي بن سلول بثلث الجيش وفريق منكم قال: نقتلهم،

وفريق قال: نتركهم، لمَ تختلفون يا أصحاب محمد في هؤلاء المنافقين؟ والله هو الذي حرمهم شرف الجهاد مع الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بسبب كسبهم السيء.

فكثيرًا ما يُحرَم الناس الخير بسبب ذنوبهم، والحرمان من الخير مصيبةٌ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)﴾ [الشورى: ٣٠]. قد تُحرَم من صلاة، بل تُحرَم من عفوٍ عن الناس، قد تُحرَم من إصلاح بين الناس، قد تُحرَم من أن تتصدق بسبب ذنوب أنت ارتكبتها فيُحال بينك وبين فعل الخير، فلكثرة جنايات أهل النفاق حُرِموا خيرًا كثيرًا، فمن صفاتهم إجمالًا قلة العمل مع كثرة الكلام، عملهم قليلٌ وأقوالهم كثيرة، فانظر إلى الناس الذي عمله قليل وكلامه كثير فيه شعبةٌ من هذا الشقاق وشعبةٌ من هذا النفاق.

أما العاملون الذين يبتغون بأعمالهم وجه الله عملهم كثيرٌ، ولا يكاد أحد أن يعرف عنهم شيئًا، كما يُذكَر في تراجم الرواة الأسباق العلماء أهل الديانة، وقبلهم إمامهم رسولنا محمد، وصحبه الكرام -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- ورضي الله عن أصحابه، فيذكرون في ترجمة علي بن الحسين زين العابدين أنه كان من الليل -ولم تكن ثم كهرباء كأيامنا- في الليل البهيم يحمل على ظهره طعامًا إلى مائة أسرة من المساكين على ظهره، يوصلها بنفسه، ولا يدري أهل الفقر من الذي يأتيهم بهذا الطعام، فلما مات -رحمة الله تعالى عليه ورضي عن والديه وأجداده- فقد العوائل هذه الإعانات التي كانت تأتيها، فعلموا أنه كان من علي بن الحسين زين العابدين -رَحِمَهُ اللهُ-.

فمن شأن أهل النفاق كثرة الكلام قلة العمل، ما العمل الذي أنتجته؟ ما العمل الذي أثمرته؟ لكن شأن أهل النفاق كما قال تعالى: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(١٨٨)﴾ [آل عمران: ١٨٨]. وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «المُتَشَبِعُ بما لَمْ يُعْطَ كلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ».

من سيم أهل النفاق -عِيَاذًا بِاللهِ مِنهم- أنهم يعبدون الله على حسب المصلحة، إن جاءت مصلحة عبدوا الله، ما جاءت مصلحة تركوا العبادة، يعلقون عبادتهم على الخير المتأتي لهم والمتحصل لهم، إن كان في الباب خير عبدوا الله، ما فيه خير عبدوا الشيطان، ليس لهم دينٌ إلا المال، ليس لهم دينٌ إلا المصلحة، قال تعالى في شأنهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]. أي: على شك ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾. كان الرجل يأتي إلى المدينة من الأعراب الجفاة المنافقين ينظر ويرقب إن صحت إبله، وإن ولدت إبله، وإن وضعت امرأته أولادًا ذكورًا قال: هذا دينٌ حسن، إن أعطاه الرسول شيئًا قال: هذا دين طيب وجميل، ولكن إن قُدِر عليه غير ذلك، إن لم تلد امرأته- والله الذي يجعل من يشاء عقيمًا- أو أُبتلي بشيء من قلة المال، أو لم تنتج إبله قال: هذا دين سوءٍ، ويرتد، كما ترون أكثر الناس الآن إن رخصت البطاطس هذا شيء طيب، إن رخص اللحم شيء أطيب، إن ارتفع سعر اللحم والبطاطس أو ارتفعت المواصلات شيء ما هذا سوء، وتقييمهم للأمور بناء على تحصيل المنافع الدنيوية لا تحصيل المنافع الأخروية.

وقد كان الصحب الكرام يبذلون أموالهم لنُصرة دينهم فضلًا عن بذلهم لأنفسهم، إذًا أهل النفاق يعبدون الله على حرف، قال تعالى في سورة (العنكبوت): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]. أي: يترك الدين ويتصور أن عذاب الدنيا يشابه عذاب الآخرة، فيترك دينه من أجل شيء قليل من الفتنة، إذا أُستدعي لقسم شرطة إذا به يترك كل الدين وراء ظهره ظانًا أن عذاب الله كعذاب الناس، أو أن عذاب الناس كعذاب الله -سُبْحَانه-.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾. فقوم يبنون عبادتهم وتدينهم على المصلحة، إن رأوا الرزق الواسع في مصاحبة الصالحين صاحبوهم، وإن رأوا الرزق الواسع في مصاحبة الكفار صاحبوهم وتركوا دينهم مجاراة لهم، كما قال الخليل لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥]. فكان الخليل يقول لقومه: أنتم تعبدون الأصنام، بعضكم لا حاجة له فيها لكن يجامل الكافر الآخر بعبادته لها.

﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾. وهكذا ترون أهل النفاق دائمًا وأبدًا مع المصلحة إذا جاءت أدنى أزمة، أدنى مشكلة، أدنى عذاب، أدنى فتنة إذا به يترك الدين، كما قال منافقو المدينة إذ جاءت الأحزاب من كل فج للانقضاض على مدينة رسول الله، قامت طائفة من أهل النفاق يقولون: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤)﴾ [الأحزاب: ١٣-١٤]. هذا شأنهم أو هذا بعض شأنهم يدنون على المصلحة.

لما قدر الله على المسلمين ما قدر يوم أحد إذا بطائفة من أهل النفاق منهم الجد بن قيس يقول: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]. أينما كان يعدنا به محمد من أننا سنفتح الروم ونغنم كنوز كسرى وقيصر، خرج الكلام هباء، فبدأ يطعن في الإسلام، ولكن صدق الله وصدق رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-.

وبعد أيُها الإخوة، فهذه بعض صفاتهم، يعلقون إيمانهم بالله على الخير المتأتي لهم أو الشر المُندفَع عنهم، إن وجدوا خيرًا في الإسلام خيرًا دنيويًا أظهروا الإسلام، وجدوا شرًا أو بعض الابتلاء تركوا الدين وذهبوا إلى أهل الكفر -عِيَاذًا بِاللهِ-، فهذه بعض صفاتهم، من صفاتهم كما سلف يعاهدون ولا يفون، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦)﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦]. قل يا رب لو رزقتني بآلاف أنا لا أعرف الآلاف، لو رزقتني بعشرة آلاف سترى ما أصنع يا رب، فيُرزَق بمائة ألف، يُرزَق بمليون، وإذا به أبخل البخلاء، وكلما ازداد الرزق ازداد معه البخل، صدق الله إذ قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦)﴾.

فماذا كان؟ كما قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٧]. أورثهم الله نفاقًا في قلوبهم، لا يفارقهم هذا النفاق إلى يوم يلقونه، يلقون ربهم والنفاق في قلوبهم، أو يلقون نفاقهم يوم يلقون ربهم، والكل متلازم، فهذه من صفاتهم كذلك، أهل النفاق تعاملاتهم مع المؤمنين أسوأ المعاملات، من قلوبهم يتمنون لك أن تكفر، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]. قال تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]. أي: حبوا نزول المشقة بكم، يتربصون بأهل الإسلام، فترى شخصًا أنت لا تعرف عنه إلا الظاهر الخير، لكن يتمنى لك من كل قلبه أن لو زالت نعم الله عنك، أن لو خرس لسانك، أن لو أُصِبت بحادث وأنت تحبه.

وكما قال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩]. فإن كنت أنت يا عبد الله تحب أهل الإيمان من كل قلبك، وتدعو لهم بالخير والتوفيق والسداد، وتسعد للخير الذي يحل بهم فأنت بعيد عن أهل النفاق في هذه

الخصلة، أما إن كنت تسعد بحلول المصائب على إخوانك المسلمين، ونزول البلاء عليهم، وتشتتهم، وتفرقهم، فأنت على شر وبك شعبة من شعب النفاق، عالجها بسؤال الله أن يصرفها عنك، عالجها بالدعاء لإخوانك المسلمين وأخواتك المسلمات، عالجها بقولك: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠].

لقد قال الله لرسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: قل أي: ﴿قُلْ﴾ [التوبة: ٥٢]. أي: قل يا رسول الله لهؤلاء أهل النفاق ولغيرهم ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾. ماذا تنتظرون أن يحل بنا؟ إما الشهادة في سبيل الله ونتمناها من الله أو أننا ننتصر ونغنم ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (٥٢) قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣)﴾ [التوبة: ٥٢-٥٣].

فانظر لنفسك أيضًا هل أنت محب للخير محب لأهل الإيمان أن يحل بهم الخير أم تتمنى فضيحتهم، تتمنى نزول المصائب بهم، وعلى هذا قرر وحدد موقفك، وحاسب نفسك قبل أن تُحاسب ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]. فليس ما قدمت من العمل فقط إنما القول، والنوايا الطيبة الصالحة، ومحبة الله ورسوله والمؤمنين كذلك.

إن أهل النفاق -عِيَاذًا بِاللهِ مِنهم ومِن شرِهم - يعوقون أهل الإيمان عن فعل الخير، تُصاحب شخصًا منهم، تريد أن تحسن إلى الناس، تريد أن تعفو عن الناس إذا به يثبطك، يعوقك عن الخروج للخير ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. فوجودهم في الصف المسلم يثبط الصف المسلم، كما قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

قد تنشط وتحب أن تصلي، يقول لك: نم، تعال نذهب لفيلم، تعال نذهب لماتش كرة، قد تريد أن تتصدق يقول: أولادك أولى، تعال نأكل في المكان الفلاني طعمة كذا وكذا إنها جميلة، تراه يثبطك عن أفعال البر وعن أفعال الخير، تراه دائمًا -أعني المنافق- يثير الفتن، يثير القلاقل، الناس في أمان وأمن في مكان ما وعلى قلب رجل واحد، فيأتي منافق يفسد، يوشي لهذا بكلام، ويوشي لذلك بكلام، كما قال تعالى لرسوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨)﴾ [التوبة: ٤٨].

فلا يحب اجتماعًا لأهل الإيمان، ولا يحب ائتلافًا لقلوبهم، ولا يسعده أن يكونوا سالمين آمنين غانمين، فتراه يبث السموم، ويبث كل ما يسيء، وينقل لهذا كلامًا ولذلك كلامًا للإفساد بين الأحبة البرئاء، يبتغي للأحبة العنت والمشقة، هكذا يبتغي لهم فيقلب الأمور، ويثير القلاقل، ويثير الفتن، بل قد يصل به الأمر إلى أن ينشئ مسجدًا ضرارًا لتفريق كلمة المسلمين، ليس قصده مسجد إنما قصده شق صفوف المسلمين، كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧)﴾ [التوبة: ١٠٧].

وأطبقت أقوال المفسرين على أنهم قوم من أهل النفاق تواطؤوا مع أبي عامر الراهب النصراني الذي ارتد إلى نصرانيته، وشنئ أن يكون محبًا لرسول الله، شنئ -عِيَاذًا بِاللهِ- أهل الإسلام، فذهب يؤسس مسجدًا، فر وأمر أتباعه أن يؤسسوا مسجدًا على أطراف المدينة كي يستقبل جحافل الروم وجند الروم الذين سيأتون لغزو المدينة، فجاء قومه إلى رسول الله -أعني أهل النفاق من أتباعه- قالوا: يا رسول الله، نحن في أطراف المدينة نريد أن ننشأ مسجدًا نصلي فيه، مسجدك بعيد عنا، وبنوا المسجد، بنوا المسجد بالفعل، وأتوا رسول الله قائلين: صلِّ فيه، افتتحه يا رسول الله، حتى يأخذوا بذلك إقرارًا

وأن الرسول افتتحه، لكن جاء الوحي ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا﴾. أي: انتظارًا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨].

أيُها الإخوة، إن أهل النفاق يلمزون في الصغير والكبير، بل يلمزون رسولهم محمدًا، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨]. يطعنون في رسول الله الذي وزع الصدقات، يقولون: يجامل أقرباءه، يجامل أصحابه ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾. ﴿يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩].

فكان المسلم إذا سمع آيات الصدقة إن كان غنيًا ذهب يتصدق مثلًا بألف، إن كان فقيرًا فتش في جيوبه ما وجد إلا درهمًا يتصدق بدرهم، بنصف درهم، لكن لا يسلم هذا ولا ذاك من أهل النفاق، فيقولون عن الغني: ما تصدق إلا رياء وسمعة، ويقولون عن الفقير: هأ هأ، ماذا ينفع درهمه، يأكل به وأولاده أفضل

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾. ويلمزون أيضًا ﴿وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾. قال تعالى: ﴿سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. فهذه بعض مواقفهم مع أهل الإيمان، دائمو التعويق لأهل الإيمان، دائمو منع أهل الإيمان من فعل الخيرات، فلذا كان من السوي الصحيح والعمل الصحيح أن تبتعد عنهم، إذ الله قال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧]. أي: لو خرجوا للجهاد معكم في سبيل الله لن ينصروا لكم كلا، بل سيفتون في أعضادكم ﴿لَوْ

خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

من سيماهم ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [النور: ٤٨]. تعالوا نتحاكم إلى الكتاب والسنة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. لكن إن وجدوا الخير في الكتاب والسنة يقبلوا ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)﴾ [النور: ٤٩-٥٠]. هل ظنوا بالله أنه يظلم؟ كلا، ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

إن أهل النفاق وكما سلف دائمًا يثيرون الفتنة، قال قائلهم ابن أبي بن سلول يفرق بين المهاجرين والأنصار: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]. يحرصون على تجويع المؤمنين، يقول قائلهم: ﴿لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ﴾ [المنافقون: ٧]. لا تعطوا الفقراء المهاجرين شيئًا، لماذا لا نعطيهم شيئًا؟ يسأله أصحابه، يقول: حتى يرجعوا إلى بلادهم ﴿حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾. إنكم إن أعطيتموهم أموالًا سيبقون في بلادكم، وإن حرمتموهم رجعوا إلى بلادهم، ﴿يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾. الآيات.

فمن شأنهم تجويع أهل الإسلام كي ينفض أهل الإسلام عن دينهم بزعمهم، والله يقول: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢)﴾ [الصافات: ١٦١-١٦٢]. أي: بمضلين ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣)﴾ [الصافات: ١٦٣]. وهذا المبدأ استعمله أهل الكفر وهو تجويع الشعوب، استعمله أهل الإلحاد لتجويع الشعوب لصرفهم عن دينهم، إذ يقول قائلهم: ﴿لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾.

أيُها الإخوة، تجولوا في ثنايا الكتاب العزيز، انظروا ببصركم وأفئدتكم إلى آيات الكتاب العزيز وإلى سنة النبي الأمين محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- خشية على أنفسكم أولًا: أن تكون لأحدكم صفة من صفات أهل النفاق وهو لا يشعر، الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)﴾ [الصف: ٢-٣].

إن الله يقول وليحذر كل طالب علم على نفسه من ذلك: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥)﴾ [الجمعة: ٥]. إن الله قال: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤)﴾ [البقرة: ٤٤]. أيُها الإخوة، إن من شأن أهل النفاق موالاة أهل الكفر والإسراع إليهم، قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢)﴾ [المائدة: ٥٢]. على المؤمن أن يثبت على دينه، وليركن دائمًا وليأوي دائمًا إلى ركنٍ شديد، فالله ﴿خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠)﴾ [آل عمران: ١٥٠]. وهو ﴿خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤)﴾ [يوسف: ٦٤]. ولا يغتر بقوة أحد كائنًا ما كان؛ فإن الله أقوى، إن الله هو أكبر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

فاثبتوا على طاعة الله، ونقوا أنفسكم من شعب النفاق وخصال المنافقين، نقوا أنفسكم من ذلك، ولن تبلغوا رشدكم إلا بتوفيق من الله لكم، فاسألوا الله التوفيق، قال العبد الصالح النبي الكريم خطيب الأنبياء شعيب -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾ [هود: ٨٨].

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

أما وقد سمعتم بعض صفات المنافقين أعاذنا الله وإياكم منها، أعاذنا الله وإياكم منها، فعلينا جميعًا أن نتعوذ بالله من هذه الصفات الذميمة الرديئة، وأن نسأل الله الإخلاص دائمًا وأبدًا في القول وفي العمل، ونسأله سلامة الصدور وحسن النوايا، فدائمًا وأبدًا علينا بذلك، فلن نبلغ هذه المنازل والمراتب إلا إذا بلغنا الله إياها، وما توفيقنا جميعًا إلا بالله عليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير.

أما عن أعمالنا مع أهل النفاق، وقد كان اسم النفاق يُطلَق في زمن الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وبعد الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وبعد القرون المفضلة أُستعمل اسم الزندقة على من يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، فكيف نتعامل مع هؤلاء الزنادقة ومع هؤلاء المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون؟ وإن كنا لا نستحب اسم الزندقة، إنما نستحب ما في كتاب الله وما في سنة رسول الله، فوضع الاصطلاحات مواضعها الصحيحة من الكتاب والسنة نستطيع أن نستخرج لها أحكامًا صحيحةً من كتاب الله ومن سنة رسول الله، وإن كان اسم الزندقة أُستعمل قديمًا، لكن لا نحب استعمال إلا الاسم المستعمل في الكتاب والسنة؛ ذلك للآتي، إنما مثلًا الآن نسمع عن اسم الصهيونية العالمية، كثيرًا ما نسمع سبابًا وشتمًا للصهيونية العالمية، وبئست الصهيونية العالمية، ولكن أنا أريد أن استخرج لها أحكامًا من كتاب الله ومن سنة رسول الله.

فإذا فتشت في الكتاب العزيز لن أجد شيئًا اسمه الصهيونية العالمية لا في الكتاب ولا في السنة، فأقف مكتوف الأيدي أمام تصدير حكمٍ على الصهيونية العالمية، ولكن إذا

قلتم هؤلاء يهود، بل شر اليهود، من أشر صنوف اليهود، وتلوت كتاب الله فسأجد في الحال ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]. ﴿ستجد يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١]. ستجد ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤]. ستجد نصوصًا تخدمك في إصدار الحكم عليهم.

وكذلك الاصطلاح الذي يقوله الناس الآن عن النصارى، إذ يقولون المسيحيون، ولا نعرف لاسم المسيحيين إلا المسيح عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أصلًا في الكتاب ولا في السنة، ويُفترَض إذا أطلقوا المسيحي يكون تابعًا للمسيح الذي قال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. فما وجدنا اصطلاح المسيحيين، إنما تجد اصطلاح النصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ [المائدة: ١٤].

وكذا سائر الاصطلاحات نستخرجها من الكتاب العزيز بعد أن نوصفها التوصيف الصحيح، فإن من طرق التدليس على العباد أن تتسمى الاصطلاحات بغير أسمائها، كما ورد في الأثر: «سيأتي قومٌ على الناسِ يشربونَ الخمرَ، يُسمُونها بغيرِ اسمِها». فيسمون مثلًا الخمر شمبانيا أو مشروبات كحولية، ويقولون عن السحر علاج الأرواح، يسمون تسميات حتى يموهوا على الناس، ومن ثم لا تأخذ أحكامها الشرعية الصحيحة.

البنت إذا زنت -عِيَاذًا بِاللهِ-، ونعيذ بناتنا، وبناتكم، ونساءنا، ونساءكم من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، بنت من البنات ترتكب فاحشة الزنا يقول: البنت غلطت مع ولد، كأنه شيء تافه ويسير، وحتى لا يُعطي الحكم الصحيح للشرع في مثل هذه الجنايات حتى تأخذ مواضعها الصحيحة، فجدير بنا أن نتعامل مع أهل النفاق بالاصطلاح الذي وصِفوا به، نعم لزم التفصيل، فهناك نفاق عملٍ كما سمعتم ونفاق اعتقاد.

ولقد قال تعالى لرسوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]. فأحيانًا اشتد على أهل النفاق امتثالًا لأمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾. قال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾. فما العمل؟ ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

قال تعالى في كتابه الكريم مبينًا طائفة من علاماتهم في التحكمات إلى غير الله قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤) فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ [النساء: ٦٠-٦٥].

أيُها الإخوة، عليكم بصدق الحديث، فإنه يضاد النفاق، عليكم بالوفاء بالعهود، فإن الوفاء بالعهود يبعدك عن صفات أهل النفاق، عليكم كذلك كما بين رسولكم بأداء الأمانات إلى أهلها، فالمنافق «إِذَا اُؤتمِنَ خَانَ». فكن أنت وفيًا في أداء الأمانات بكل صنوفها إلى أهلها، إذا وعدت فصدق، إذا وعدت فوفِ بالوعد، إذا اؤتمنت فأدِ الأمانات إلى أهلها، إذا عاهدت لا تغدر، إذا عاهدت لا تغدر، فإن الغدر من صفات المنافقين.

فانظر إلى صفات المنافقين وافعل المقابل لها، فإن المقابل لها بالطبع من صفات أهل الإيمان، كان رسولكم صادق الوعد، كان يؤدي الأمانات إلى أهلها، كان يُقال عنه الصادق الأمين، كان إذا عاهد لا يغدر، بل الله قال في كتابه الكريم: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)﴾ [الأنفال: ٥٨].

لتكن موالاتك لأهل الإيمان؛ فإن موالاة أهل النفاق إنما هي لأهل الكفر يقولون لهم ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤)﴾ [البقرة: ١٤]. يقولون لأهل الكفر إذا عاتبوهم: لماذا تمشون مع المسلمين؟ فيقولون: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾. هكذا يفعلون، فليكن ولاؤك لأهل الإيمان، ومحبتك لأهل الإيمان، وانضمامك إلى صفوف أهل الإيمان، وتكثيرك لسواد أهل الإيمان.

حدث فاصدق، إذا وعدت وفِ بالوعد، إذا اؤتمنت لا تخن، إذا عاهدت فلا تغدر، كما يفعل أهل الشر وأهل النفاق -عِيَاذًا بِاللهِ مِنهم-، التوفيق دومًا بالله ومن الله، اللهم وفقنا لخير المعتقدات وأصلحها للإسلام يا رب العالمين للإيمان والإحسان يا كريم، ارزقنا الإيمان، والإحسان، والإسلام يا رب العالمين، نسألك الطيب من القول، والصالح من العمل، والحسن من النوايا، والحسن من الأخلاق يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أعلى جنة الخلد.

اللهم جنبنا النفاق، اللهم جنبنا النفاق، واصرف عنا المنافقين وشرورهم يا رب العالمين، اللهم اجعل كيدهم في نحرهم وتدميرهم في تدبيرهم أنت يا ربنا حسبنا وأنت نعم الوكيل، اللهم ألبسنا لباس التقوى، وزودنا بزاد التقوى، واكسنا بجلباب الحياء، يا رب العالمين ألزمنا طاعتك وطاعة رسولك، وثبتنا على الإيمان حتى الممات يا رب العالمين، اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، واشفِ

مرضانا ومرضى المسلمين، واقضِ الدين عنا جميعًا وعن المدينيين، يا رب العالمين اجمع بين قلوبنا على طاعتك، وعلى كتابك، على سنة رسولك -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، واحشرنا مع المنعم عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وصل اللهم على نبينا محمد وسلم.

وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=kO٢٥A٤wUiok&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=١٣٢

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share